﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت: 5 - 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

بيانُ جزاءِ المُطيعِ بعدَ بيانِ جزاءِ العاصي

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها؛ فإنَّه لمّا بيَّنَ سبحانَهُ بقولِهِ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ أنَّ العبدَ لا يُترَكُ في الدُّنيا سُدًى، وبيَّنَ في قولِهِ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أنَّ مَنْ تركَ ما كُلِّفَ بهِ يُعذَّبُ؛ بيَّنَ أنَّ مَنْ يعترفُ بالآخرةِ، ويعملُ لها لا يَضيعُ عملُهُ، ولا يَخيبُ أملُهُ[1].

أو أنَّه لمّا خوَّفَ سبحانَهُ عبادَهُ المحسنينَ والمسيئينَ؛ أشارَ إلى التَّلويحِ بتهديدِ الكاذبينَ في التَّصريحِ بتشويقِ الصّادقينَ، فقالَ: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ الآيةَ[2].

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى؛ فهي أنَّهُ تعالى لمّا بيَّنَ أنَّ التَّكليفَ حسنٌ واقعٌ، وأنَّ عليهِ وعْدًا وإيعادًا، ليسَ لهما دافعٌ؛ بيَّنَ أنَّ طلبَ اللهِ ذلكَ مِنَ المُكلَّفِ ليسَ لنفعٍ يعودُ إليهِ، فإنَّهُ غنيٌّ مُطلَقًا[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِقَآءَ﴾: (لقي) أصل يدل على تحصيل الشيء بالمقابلة مواجَهةً أو تماسًا[4]، واللِّقاءُ: مصادفةُ الشَّيءِ للشَّيءِ ومقابلتُهُ لهُ معًا، وقد يُعبَّرُ بهِ عن كلِّ واحدٍ منهما، ويقالُ ذلكَ في الإدراكِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 27.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 392.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 28، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 393.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (لقي)، وردّها ابن فارس إلى أصول ثلاثة ترجع أغلبها إلى هذا المعنى، أو إلى جزء منه، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).

بالحسِّ، وبالبصرِ، وبالبصيرةِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [آل عمران: 143]، وقالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: 62]، ومُلاقاةُ اللهِ ﷻ عبارةٌ عنِ القيامةِ، وعنِ المصيرِ إليهِ، قالَ جلَّ وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: 223]، ويقالُ: لَقيَ فلانٌ خيرًا وشرًّا، وتقولُ: لَقيتُهُ بكذا؛ إذا استقبلتَهُ بهِ[1]، والمعنى في الآية واضحٌ.

2) ﴿أَجَلَ﴾: (أجل) أصلٌ يدلُّ عَلَى خَمْسِ كَلِماتٍ مُتَباينَةٍ، لا يَكادُ يُمْكِنُ حَمْلُ واحِدَةٍ عَلَى واحِدَةٍ مِنْ جِهَةِ القياسِ، فَكُلُّ واحِدَةٍ أَصْلٌ في نَفْسِها[2]. والأَجَلُ: تجمُّعٌ أو تماسكٌ مؤقَّتٌ بوقتٍ، ومن التوقيت بوقت لفظ الأجل: وهو غايةُ وقت الشَّيء ونهايته[3]، وهو المُدَّةُ المضروبةُ للشَّيءِ[4]، قالَ ﷻ: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر: 67]، ويقالُ: دَيْنُهُ مُؤَجَّلٌ، وقد أَجَّلْتُهُ، أيْ: جعلتُ لهُ أَجَلًا، ويُقالُ للمُدَّةِ المضروبةِ لحياةِ الإنسانِ: أَجَلٌ، فيُقالُ: دَنا أَجَلُهُ، أيْ: دَنا مَوْتُهُ، وأصلُهُ: استيفاءُ الأَجَلِ، أيْ: مُدَّةِ الحياةِ، والآجِلُ ضدُّ العاجلِ[5]، ومعنى الأجل في الآية: الوقتُ الَّذي حَدَّدَهُ اللّهُ لِلْبَعْثِ.

3) ﴿جَٰهَدَ﴾: (جهد) الجَهْدُ والجُهْدُ: الطّاقةُ والمشقَّةُ، وإفراغ قوَّة الشيء وبذلها[6]، والاجتهادُ: أخذُ النَّفسِ ببذلِ الطّاقةِ وتحمُّلِ المشقَّةِ، والجهادُ والمجاهدةُ: استفراغُ الوسعِ في مدافعةِ العدوِّ، والجهادُ ثلاثةُ أضربٍ: مجاهدةُ العدوِّ الظّاهرِ، ومجاهدةُ الشَّيطانِ، ومجاهدةُ النَّفسِ[7]، وتحتمل الآية هذه الوجوه الثلاثة.

4) ﴿لَغَنِيٌّ﴾: (غني) أَصْلانِ صَحيحانِ، أَحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى الكفايَة، والآخرُ صوتٌ[8]. والغِنَى: كفايةٌ من الحاجة، وغنى اللّه من غير احتياج، غَنيتُ بكذا، واستغنيتُ، وتغنَّيتُ، وتغانيتُ: اكتفيتَ بأيِّ لونٍ من ألوان الكفاية، فغَني بالمكان (أقام): استغنى بالإقامة،

(1) الراغب، المُفردات، والسّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (لقي).
(2) ابن فارس مقاييس اللغة: (أجل).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (أجل).
(4) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح: (أجل).
(5) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (أجل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (جهد).
(7) الراغب، المُفردات، والسّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (جهد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).

والغانية: من استغنَتْ بجمالها، ويُقالُ: أغناني كذا، وأغنَى عنّي كذا؛ إذا كفاني[1]، ومعنى الغَنيِّ في الآية: هو المكتفي بنفسِهِ من غير حاجة إلى غيره.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وغْـدُ الـلـهِ لا يُـخْـلَـفُ، ونفعُ طاعةِ العبدِ لهُ لا للهِ

مَنْ كانَ يرجو اللّهَ يومَ لِقائِهِ، ويطمعُ في ثوابِهِ؛ فإنَّ أجلَ اللّهِ الَّذي أجَّلَهُ لبعثِ خلقِهِ للجزاءِ والعقابِ لآتٍ قريبًا، واللّهُ السَّميعُ لقولِهِ: آمنّا باللّهِ، العليمُ بصِدْقِ قيلِهِ مِنْ كذبِهِ فيهِ، ومَنْ جاهد؛ فإنَّما يجاهدُ لنفسِهِ؛ لأنَّهُ يفعلُ ذلكَ ابتغاءَ الثَّوابِ مِنَ اللّهِ على جهادِهِ، والهربِ مِنَ العقابِ، فليسَ للّهِ إلى فعلِهِ ذلكَ حاجةٌ، وذلكَ أنَّ اللّهَ غنيٌّ عن جميعِ خَلْقِهِ، لهُ المُلْكُ والخَلْقُ والأمرُ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآية عمّا قبلَها:

الجملةُ بيانٌ لِما قبلَها

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ مَسوقٌ للمؤمنينَ خاصَّةً؛ لأنَّهم الَّذينَ يرجونَ لقاءَ اللّهِ؛ فالجملةُ مُفيدةٌ التَّصريحَ بما أشارَ إليهِ قولُهُ تعالى: ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾، مِنَ الوعدِ بنصرِ المؤمنينَ على عدوِّهم، مُبيِّنةٌ لها، ولذلكَ فُصِلَتْ، ولولا ذلكَ؛ لكانَ حقُّ الإخبارِ بها أنْ يجيءَ بواسطةِ حرفِ العطفِ[3]، والحاصلُ أنَّ بينَ الجملتَيْنِ كمالَ الاتِّصالِ الموجِبَ للفصلِ.

سرُّ إدخالِ الماضي على المستقبلِ:

الـدَّلالـةُ على رُسوخِ الرَّجاءِ

جيءَ بفعلِ الكونِ ماضيًا في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾؛ للدَّلالةِ على تمكُّنِ هذا الرَّجاءِ مِنْ صاحبِهِ[4]، ورسوخه فيه، وأنَّهُ بمنزلةِ صفةٍ مِنْ صفاتِهِ الجِبِلِّيَّةِ الَّتي

(1) الراغب، المفردات: (غني).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 10.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 207.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 208.

لا تنفكُّ عنهُ، وأُدخِلَ الماضي على المستقبلِ؛ للدَّلالةِ على الاستمرارِ، أي: مَنِ استمرَّ رجاؤُهُ إلى الموتِ[1]، وهو على هذه الصِّفة من التمكُّن والرسوخ، فإنَّ اللّه سيعوِّضه خيرًا، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ اللّائقَ بحالِ المؤمنِ الاستمرارُ والاستدامةُ على رجاءِ لقاءِ اللّهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالرَّجاءِ عن ترقُّبِ البعثِ:

الإشارةُ إلى أملِ الخيراتِ

عُبِّرَ بفعلِ الرَّجاءِ في قولِهِ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ عن ترقُّبِ البعثِ؛ لأنَّ الكلامَ مَسوقٌ للمؤمنينَ، وهم ممَّنْ يرجو لقاءَ اللّهِ؛ لأنَّهم يترقَّبونَ البعثَ؛ لِما يأمُلونَ فيهِ مِنَ الخيراتِ[2]، وهذهِ النُّكتةُ - كما لا يَخفَى - مبنيَّةٌ على أحدِ الأقوالِ في المُرادِ بلقاءِ اللّهِ، كما سيأتي.

بلاغةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾:

لِقاءُ اللّهِ مَثَلٌ للوصولِ إلى العاقبةِ، مِنْ تلقِّي مَلَكِ الموتِ والبعثِ والحسابِ والجزاءِ، مُثِّلَتْ تلكَ الحالُ بحالِ عبدٍ قَدِمَ على سيِّدِهِ بعدَ عهدٍ طويلٍ، وقد اطَّلعَ مولاهُ على ما كانَ يأتي، ويَذَرُ، فإمّا أنْ يلقاهُ ببِشْرٍ وترحيبٍ؛ لِما رَضيَ مِنْ أفعالِهِ، أو بضدِّ ذلكَ؛ لِما سَخِطَهُ منها، فمعنى قولِهِ تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: مَنْ كانَ يأمُلُ تلكَ الحالَ، وأنْ يَلقَى فيها الكرامةَ مِنَ اللّهِ والبِشْرَ؛ فإنَّ أجلَ اللّهِ - وهو الموتُ - لآتٍ لا محالةَ[3]، فيكونُ الكلامُ مِنْ قبيلِ التَّمثيلِ[4].

لِقاءُ اللهِ مَثَلٌ للوصولِ إلى العاقبةِ

أو شُبِّهَ البعثُ باللِّقاءِ؛ لانكشافِ كثيرٍ مِنَ الحُجُبِ بهِ، وحُضورِ الجزاءِ[5]، كما يحتمل أن تكون الملاقاةُ مجازًا عن الحسابِ والحَشْرِ، أو عن رُؤيةِ اللّه تعالى والثَّوابِ؛ لأنَّ حقيقةَ اللِّقاءِ - وهو تقاربُ الجسمَيْنِ - مستحيلةٌ هنا[6].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 13.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 209.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 440.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 342.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 393.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 208.

لطيفةُ الإضافةِ في ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾:

تفيدُ إضافةُ ﴿لِقَآءَ﴾ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ تشريفَ اللِّقاءِ وتعظيمه بكونِهِ لِقاءَ ذي العظَمةِ والجلالِ والكِبْرياءِ.

سرُّ التَّعبيرِ بعُنوانِ الأُلوهيَّةِ:

تربيةُ المهابةِ في القلوب

جيءَ بلفظِ الجلالةِ دونَ غيرِهِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾؛ لتربيةِ المهابةِ في القلوب، وما يترتَّب على ذلك من تهويلِ الأمرِ، ولزيادةِ تشريفِ اللِّقاءِ وتعظيمِهِ بكونِهِ مُضافًا إلى الجامعِ لصفاتِ الكمالِ ﷻ، وزيادةِ تحقيقِهِ وحصولِهِ؛ لأنَّ الآتيَ به هو القادرُ على كلِّ شيءٍ[1].

بلاغةُ الفاءِ في ﴿فَإِنَّ﴾:

قوةُ اتِّصالِ الجُملتَيْن لترتُّبِ الثانيةِ على الأولى

إذا كانَتْ ﴿مَن﴾ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ شرطيَّةً؛ فالفاءُ في ﴿فَإِنَّ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ بفعله بحسَبِ الظّاهرِ.

وإنْ كانَتْ ﴿مَن﴾ موصولةً؛ فالفاءُ رابطة الجملة الثانية بالأولى، وجعلها مترتِّبة عليها لشَبَهِ الموصولِ بالشَّرطِ[2]، وتضمُّنه فيه.

وعلى كلا المعنيَيْن فالجملةُ الثانية - بكلِّ معانيها المفهومة منها والمحتملة فيها - مترتِّبةٌ على الجملة الأولى ترتُّبَ السَّببِ والمُسبَّب، أو الشرط والجزاء.

دلالة التعبير بـ ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾:

الوصولُ إلى ثوابِ اللهِ المعهودِ على الطّاعةِ واقعٌ لا محالةَ

ظاهرُ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ أنَّ مَنْ لا يرجو لِقاءَ اللهِ؛ لا يكونُ أجلُ اللهِ آتيًا لهُ، وذلكَ مُشكِلٌ.

فقيلَ: المُرادُ مِنْ ذِكْرِ إتيانِ الأجلِ وعدُ المُطيعِ بما بعدَهُ مِنَ الثَّوابِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 393.
(2) السمين، الدر المصون: 9/ 9.

أي: مَنْ كانَ يرجو لِقاءَ اللّهِ؛ فإنَّ أجلَ اللّهِ لآتٍ بثوابِ اللّهِ، يُثابُ على طاعتِهِ عندَهُ، ومَنْ لا يرجوهُ؛ لا يكونُ أجلُ اللّهِ آتيًا على وجهٍ يُثابُ هو فيه[1]، أو لا يكون أجلُ اللّه آتيًا له على وجهٍ يريده، ويرضاه.

وقيلَ: الظّاهرُ أنَّ قولَهُ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ ليسَ بجوابٍ؛ لأنَّ أجلَ اللّهِ آتٍ - لا محالةَ - مِنْ غيرِ تقييدٍ بشرطٍ، بل الجوابُ محذوفٌ، أي: فليعمَلْ عملًا صالحًا، ولا يُشرِكْ بعبادةِ ربِّهِ أحدًا، كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110][2]، والمذكورُ دليلٌ على الجوابِ المحذوفِ؛ إقامةً للعلّةِ مقامَ المعلولِ، والمعنى: مَنْ كانَ يرجو لِقاءَ اللّهِ فليُبادرْ إلى الطّاعةِ؛ لأنَّ لِقاءَ اللّهِ - الّذي هو الوصولُ إلى ثوابِهِ المعهودِ على الطّاعةِ - لواقعٌ لا محالةَ[3].

وعلى كلٍّ فإنَّ هذه الجملةَ ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾، ليست جوابَ شرطٍ على الحقيقةِ؛ لأنَّها ليست مترتِّبةً على فعلِهِ، فإنَّ أجلَ اللّه لآتٍ لمن كان يرجو لقاءَ اللّه، ولمن لا يرجوه، وفي هذا من بلاغة الإيجاز قلَّةُ الكلام بحذف الجواب، ومجيء جملة تغني عنه، وتدلُّ عليه، وتكون كالعلّة له.

غرضُ توكيدِ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾:

الحثُّ على الاستعدادِ للقاءِ اللهِ

يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بأجلِ اللّهِ الوقتَ الّذي عيَّنَهُ اللّهُ للبعثِ والحسابِ، ويجوزُ كذلك أنْ يكونَ المُرادُ بِهِ الأجلَ الّذي عيَّنَهُ اللّهُ لنصرِ المؤمنينَ وانتهاءِ فتنةِ المشركينَ إيّاهم، باستئصالِ صناديدِ قريشٍ، وذلكَ بما كانَ مِنَ النَّصرِ يومَ بدرٍ، ثمَّ ما كانَ بعدَهُ إلى فتحِ مكَّةَ، فيكونُ الكلامُ تثبيتًا للرَّسولِ ﷺ وللمؤمنينَ، حينَ استبطأ المؤمنونَ النَّصرَ للخلاصِ مِنْ فتنةِ المشركينَ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 28.

(2) السمين، الدر المصون: 9/ 9، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30.

(3) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 13.

وتأكيدُ جملةِ ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ بحرفِ التَّوكيدِ واللّامِ على الوجهِ الأوَّلِ؛ للتَّحريضِ والحثِّ على الاستعدادِ للِقاءِ اللّهِ، وتأكيدُها على الوجهِ الثّاني لقصدِ تحقيقِ النَّصرِ الموعودِ بهِ؛ تنزيلًا لاستبطائِهِ منزلةَ التَّردُّدِ؛ لقصدِ إذكاءِ يقينِهم بما وعدَ اللّهُ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالأجل بدلَ اللِّقاء:

الإيماءُ إلى عدم تخلُّف الأجل

يجوزُ أنْ يكونَ المُرادُ بـ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ في قولِهِ تقدَّسَ ذِكْرُهُ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ الوقتَ الَّذي عيَّنَهُ اللّهُ للبعثِ والحسابِ، وهو المُرادُ بلقاءِ اللّهِ، فيكونُ مِنَ الإظهارِ في مقامِ الإضمارِ، ومُقتضَى الظّاهرِ أنْ يُقالَ: فإنَّهُ لآتٍ، فعُدِلَ إلى الإظهارِ؛ لِما في إضافةِ ﴿أَجَلَ﴾ إلى اسمِ الجلالةِ مِنَ الإيماءِ إلى أنَّ هذا الأجلَ لا يُخْلَفُ[2]، ويجوز أن يكون المرادُ من الأجل: وعْدَ اللّهِ بنصر المؤمنين، وهو لا يتخلَّف أيضًا عن الموعد الذي حدَّده الله له.

نكتةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ:

التَّهويلُ وتحقيقُ إتيانِ الأجلِ

قيلَ: لمّا كانَ المُنكرونَ للبعثِ كثيرينَ؛ أُكِّدَ، فقيلَ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾، أي: المَلِكِ الأعلى الَّذي لهُ الغِنى المُطلَقُ وجميعُ صفاتِ الكمالِ ﴿لَآتٍۚ﴾ لا محيصَ عنهُ، فإنَّهُ لا يُخلِفُ الوعدَ، ولذلكَ عُبِّرَ بالاسمِ الأعظمِ؛ للإشارةِ إلى أنَّ أهوالَ اللِّقاءِ لا يُحيطُ بها عدٌّ، ولا يَحصُرُها حدٌّ[3].

وظاهرٌ أنَّ هذهِ النُّكتةَ مبنيَّةٌ على أنَّ المُرادَ بالأجلِ وقتُ البعثِ، وقيلَ: إظهارُ اسمِ الجلالةِ في جملةِ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾، معَ كونِ مُقتضَى الظّاهرِ الإضمارَ؛ لتقدُّمِ اسمِ الجلالةِ في جملةِ الشَّرطِ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾؛ لئلّا يلتبسَ مرجعُ الضَّميرِ بأنْ يُعادَ إلى ﴿مَن﴾؛ إذ المقصودُ الإعلامُ بأجلٍ مخصوصٍ، وهو وقتُ النَّصرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 208.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 208.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 393.

الموعودِ، كما في قولِهِ ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: 29 - 30][1]، وظاهرٌ أنَّ هذهِ النُّكتةَ مبنيَّةٌ على أنَّ المُرادَ بالأجلِ الأجلُ الَّذي عيَّنَهُ اللّٰهُ لنصرِ المؤمنينَ وانتهاءِ فتنةِ المشركينَ إيّاهم.

بلاغةُ اللّامِ في ﴿لَآتٍۚ﴾:

لامُ ﴿لَآتٍۚ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ هي لام الابتداء في الأصل، ولكنها دخلت على خبر (إنَّ) فأصبحت تسمى المزحلقة، وأفادت تأكيد إتيانِ ذلك الأجل.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في ﴿لَآتٍۚ﴾:

المبالغةُ في تحقُّقِ إتيانِ الأجلِ

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ إتيانِ الأجلِ؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ مِنَ الثَّباتِ والاستقرارِ، والمعنى: إنَّهُ آتٍ - لا محالةَ - مِنْ غيرِ صارفٍ يلويهِ، ولا عاطفٍ يثنيهِ؛ لأنَّ أجزاءَ الزَّمانِ على التَّقضّي والتَّصرُّمِ دائمًا، فلا بدَّ مِنْ إتيانِ ذلكَ الجزاءِ البتَّةَ[2].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾:

في قولِ الباري جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ مجيءَ ذلكَ الوقتِ كنايةٌ عن إتيانِ ما فيهِ ووقوعِهِ[3].

بلاغةُ التَّذييلِ بالجملةِ الاستئنافيَّةِ:

الواوُ في قولِ اللّٰهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ للاستئنافِ، والجملةُ بعدَها استئنافٌ تذييليٌّ لتحقيقِ حصولِ مجيءِ الأجلِ المرجوِّ والمخوفِ وعدًا ووعيدًا[4].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 209.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 343.

(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 343.

(4) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 138.

بلاغةُ تعريفِ طرفَي الإسنادِ:

جيءَ بطرفَي الإسنادِ في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ مُعرَّفَيْن؛ لإفادةِ القصرِ، والمعنى: وهو وحدَهُ - لا غير - السَّميعُ العليمُ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ (فعيلٍ):

جيءَ بصيغةِ (فعيلٍ) في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لإفادةِ المبالغةِ في اتِّصافِه ﷻ بالسَّمعِ والعلمِ.

مناسبةُ خَتْمِ الآيةِ بصفتَيِ السَّمعِ والعلمِ:

مـراعـاةُ تشابهِ الأطرافِ

قيلَ: قولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تذييلٌ لتحقيقِ حصولِ المرجوِّ والمَخوفِ وعْدًا ووعيدًا[2]، أي: وهو السَّميعُ العليمُ الَّذي لا يَخفَى عليهِ شيءٌ ممّا يقولُهُ عبادُهُ، وممّا يفعلونَهُ، فهو حقيقٌ بالتَّقوى والخشيةِ[3]، وهو جديرٌ بأنْ يُؤمَّلَ، ويُناطَ بكرمِهِ الرَّجاءُ[4].

وقيلَ: لم تُذكَرْ صفةٌ غيرُ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، كـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129] وغيرِهما؛ لأنَّهُ سبقَ القولُ في قولِه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾، وسبقَ الفعلُ في قولِه: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، وقولِه: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾، وقولِه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، ولا شكَّ أنَّ القولَ يُدرَكُ بالسَّمعِ، والعملُ منهُ ما لا يُدرَكُ بالبصرِ، ومنهُ ما يُدرَكُ بهِ، والعلمُ يشملُهما، والمعنى: وهو السَّميعُ يسمعُ ما قالوهُ، وهو العليمُ يعلمُ مَنْ صدقَ فيما قالَ ممَّنْ كذبَ، وأيضًا عليمٌ يعلمُ ما يُعمَلُ، فيُثيبُ، ويُعاقِبُ[5].

سـمـاعُ اللـهِ تعالى لدعائِهم وعلمِه بما في نفوسِهم

وقيلَ: وقعَ التَّذييلُ بوصفَيِ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دونَ غيرِهما؛ للإيماءِ بوصفِ السَّميعِ إلى أنَّ اللهَ تعالى سمعَ مقالةَ بعضِهم، مِنَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 393.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 138.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 440.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 138.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 28.

الدُّعاءِ بتعجيلِ النَّصرِ، والإيماءِ بوصف العليم إلى أنَّ اللَّهَ علمَ ما في نفوسِهم مِن استعجالِ النَّصرِ[1]، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المرادَ بأجلِ اللَّهِ الوقتُ الَّذي عيَّنَهُ لنصرِ المؤمنينَ.

والفنُّ البلاغيُّ المترتِّبُ على جميعِ هذهِ الأقوالِ هو تشابهُ الأطرافِ، وهو خَتْمُ الكلامِ بما يناسبُ ابتداءَهُ في المعنى[2].

بلاغةُ الواوِ في ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾:

الجهادُ من صفاتِ أهلِ الرجاء الحسن

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ استئنافيَّةٌ، أي: ومَنْ جاهدَ ممَّنْ يرجونَ لقاءَ اللَّهِ، فليستِ الواوُ للتَّقسيمِ، وليسَ مَنْ جاهدَ بقسيمٍ لِمَنْ كانوا يرجونَ لِقاءَ اللَّهِ، بل الجهادُ مِنْ عوارضِ مَنْ كانوا يرجونَ لِقاءَ اللَّهِ[3]، وكلُّ مَن كان يرجو لقاء اللَّه مجاهدون، بأيِّ لونٍ من ألوان الجهاد، كلٌّ حسب طاقتِهِ ووسعه، وحسب ما يجيده، ويتقنه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ(مَنْ) في ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾:

كثرةُ المعاني بكثرةِ الاحتمالات في (من)

(مَنْ) في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ شرطيَّةً، لوجود فاء الجواب في الجملة التي بعدها: ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، أي: الذي حقَّق الجهادَ، فإنَّ ثواب جهادِهِ يعودُ له، ويجوزُ أنْ تكونَ موصولةً[4]، ضُمِّنَت معنى الشَّرط، أيْ: كلُّ مجاهدٍ مخلص صادق في جهاده؛ فإنَّ اللَّهَ سيعطيه أجرَ جِهاده، فاللَّه غنيٌّ عن العالمين.

دلالةُ صيغةِ المفاعلة في ﴿جَٰهَدَ﴾:

المبالغةُ في الجهدِ

الجهادُ في الأصلِ: مبالغةٌ في الجهدِ الَّذي هو مصدرُ جَهَدَ؛ إذا جدَّ في عملِهِ، وبذل وسعه فيه، وتكلَّفَ فيهِ تعبًا، ولذلكَ شاعَ إطلاقُهُ على القتالِ في نصرِ الإسلامِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 208.
(2) التفتازاني، المختصر، ص: 681.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 209.
(4) السمين، الدر المصون: 9/ 9.

ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ الصَّبرَ على المَشاقِّ اللّاحقةِ بالمسلمينَ لأجلِ دخولِهم في الإسلامِ، فإطلاقُ الجهادِ هنا هو مِثلُ إطلاقِهِ في قولِهِ تعالى بعدَ هذا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي﴾ [العنكبوت: 8]، وهذا المعنى هو المتبادرُ في هذهِ السّورةِ بناءً على أنَّها كلَّها مكّيَّةٌ؛ لأنَّهُ لم يكن جهادُ القتالِ في مكَّةَ.

قد يُراد الجهادُ بمفهومه الشرعيّ المعروف

ويجوزُ أنْ يُرادَ بالجهادِ المُصطلَحُ الشَّرعيُّ، وهو قتالُ الكفّارِ لأجلِ نصرِ الإسلامِ، ويكونُ ذِكْرُهُ هنا؛ لإعدادِ نفوسِ المسلمينَ لقتالِ المشركينَ قبلَ أن يُضطَرّوا إليهِ، فيكونُ كقولِهِ تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ [الفتح: 16]، ومناسبةُ التَّعرُّضِ لهُ على هذا المعنى: هو أنَّ قولَهُ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾، تضمَّنَ ترقُّبًا لوعدِ نصرِهم على عدوِّهم، وهو ما وقعَ يومَ بدرٍ.

ويجوز أن يكون المعنى: ومَنْ جاهدَ نفسَهُ بالصَّبرِ على مَضَضِ الطّاعةِ والكفِّ عن الشَّهَواتِ[1]، والأوفقُ ببلاغةِ القرآنِ أنْ تكون كلُّ هذه المعاني مرادةً[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿جَٰهَدَ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الجهادِ ووقوعِهِ، وأنَّ صاحبَهُ قد رَسَخَ في بابِ الجهادِ رُسوخًا لا شكَّ فيه.

بلاغةُ الفاءِ في ﴿فَإِنَّمَا﴾:

قوّةُ اتّصال الجملتين لترتُّب الثانية على الأولى

إذا كانَتْ (مَنْ) في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ شرطيَّةً؛ فالفاءُ في ﴿فَإِنَّمَا﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ بفعله بحسب الظاهر، وإنْ كانَتْ (مَنْ) موصولةً؛ فالفاءُ رابطةٌ الجملةَ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 189.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 210.

الثانية بالأولى، وجعلها مترتِّبةً عليها لشَبَهِ الموصولِ بالشَّرطِ[1]، وتضمُّنه فيه، وعلى كلا المعنيَيْن؛ فالجملة الثانية بكلِّ معانيها المفهومة منها، والمحتملة فيها، مترتِّبة على الجملة الأولى ترتُّبَ السَّبب والمسبَّب، أو الشرط والجزاء.

بلاغةُ القَصْرِ في ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾:

المبالغةُ في نفي انتفاعِ الله تعالى بذلك

ظاهرُ القَصْرِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أنْ يكونَ جهادُ المرءِ لنفسِهِ فقط، ولا ينتفع به غيرُهُ، وليسَ كذلكَ؛ فإنَّ مَنْ جاهدَ ينتفعُ بهِ هو ومَنْ يريدُ هو نَفْعَهُ، حتَّى إنَّ الوالدَ والولدَ ببركةِ المجاهدِ وجهادِهِ ينتفعانِ، والحصرُ هنا معناهُ: أنَّ جهادَهُ لا يصلُ إلى اللهِ منهُ نفعٌ، ويدلُّ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، والحاصلُ: أنَّ القصْرَ إضافيٌّ بالنِّسبةِ إليهِ تعالى، فلا يُنافي منفعةَ العبادِ، كانتفاعِ الأبِ بعملِ ولدِهِ الصّالحِ؛ فالآيةُ الكريمةُ كالتَّكميلِ والاحتراسِ[3].

وقيلَ: القَصْرُ الحاصلُ بـ (إنَّما) قصرٌ ادِّعائيٌّ؛ للتَّنبيهِ إلى ما يَغْفُلونَ عنهُ حينَ يجاهدونَ مِنَ الفوائدِ المُنجرَّةِ إلى أنفُسِ المجاهدينَ[4].

نكتةُ التَّوكيدِ في ﴿فَإِنَّمَا﴾:

جيءَ بـ (إنَّما) في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾؛ لتوكيدِ كونِ نفعِ جهادِ المجاهدِ مقصورًا على نفسِهِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُجَٰهِدُ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾؛ للتَّنبيهِ على استمرارِ قَصْرِ نفعِ جهادِ المجاهدِ على نفسِهِ وتجدُّد ذلك.

---

(1) السمين، الدر المصون: 9/ 9.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 29.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 15.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 211.

بلاغةُ التَّعبير بـ(اللّامِ) في ﴿لِنَفۡسِهِۦٓ﴾:

اتِّساعُ المعنى لشمولِ المِلْكِ والاستحقاقِ والاختصاصِ

لامُ ﴿لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ للملكِ والاستحقاقِ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ منفعةَ الجهادِ راجعةٌ إلى المجاهدِ[1]، وهي بمنزلة شيءٍ يملكُهُ، ويستحقُّهُ، ويختصُّ به المجاهد دون غيره.

دلالةُ التَّعبيرِ بالنَّفسِ في ﴿لِنَفۡسِهِۦٓ﴾:

الإشارةُ إلى حاجةِ النَّفسِ لنفعِ الجهادِ

عُبِّرَ بالنَّفسِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾؛ لأنَّها الأمّارةُ بالسّوءِ[2]، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى حاجةِ النَّفسِ لمنفعةِ الجهادِ الَّتي تعودُ عليها بالإصلاحِ والتَّرقّي في مَراقي الكمالِ.

لطيفةُ الإضافةِ في ﴿لِنَفۡسِهِۦٓ﴾:

أُضيفَتِ النَّفسُ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى المجاهدِ في قولِه سبحانَهُ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾؛ لتأكيدِ كونِ منفعةِ الجهادِ راجعةً إليه، ولذلكَ لم يقل: (للنَّفسِ).

علَّةُ فصلِ جملةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

تقريرُ الكلامِ السابقِ وتعليله

يُؤخَذُ مِنْ قولِه تعالى ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنَّهُ لا حاجةَ بهِ إلى طاعةِ عبادِه، وإنَّما كلَّفهم رحمةً بهم، ومراعاةً لصلاحِهم[3]، فهذهِ الجملةُ تذييلٌ لِما قبلَها مُقرِّرةٌ لمفهومِها[4]، ولذلكَ فُصِلَتْ عنها.

وقيلَ: الجملةُ تعليلٌ للقَصْرِ بأنَّ اللّهَ غنيٌّ عن العالمينَ، فلا يكونُ شيءٌ مِنَ الجهادِ نافعًا لهُ، ولكنَّ نفعَهُ للأُمَّةِ، فموقعُ (إنَّ) هنا هو موقعُ فاءِ التَّفريعِ[5]، كأنَّهُ قيلَ: لماذا قصرَ فائدة الجهاد على المجاهد؟ قيل: لأنَّ اللّهَ غنيٌّ عن العالمينَ.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 189، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 394.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 189.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 15.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 211.

غرضُ التَّوكيدِ في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للمبالغةِ في بيانِ عدمِ حاجتِهِ تعالى لطاعةِ خَلْقِهِ، ولأنَّ كثرةَ الأوامرِ ربَّما أوجبَتْ للجاهلِ ظنَّ حاجتِهِ تعالى لطاعةِ عبادِهِ(1).

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

ملاءمةُ لفظِ الجلالةِ لسياقِ الغِنَى عن الخَلْقِ

عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لمناسبةِ هذا اللَّفظِ لمقامِ بيانِ غِنَى الخالقِ عن خَلْقِهِ، أي: إنَّ المُتَّصفَ بصفاتِ الكمالِ والمُتعاليَ عن كلِّ شائبةِ نَقْصٍ لَغنيٌّ عن العالمينَ، ولأنَّ كثرةَ الأوامرِ ربَّما أوجبَتْ للجاهلِ ظنَّ حاجتِهِ تعالى لطاعةِ عبادِهِ، فجيءَ بالاسمِ الأعظمِ الدّالِّ على كمالِ الغِنى(2).

بلاغةُ اللّامِ في ﴿لَغَنِيٌّ﴾:

لامُ ﴿لَغَنِيٌّ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي لام الابتداء في الأصل، لكنها دخلت على خبر ﴿إِنَّ﴾، فأصبحت تسمى (مزحلقة)، وتفيد هنا تأكيد غنى الله المُطلق.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿عَنِ﴾:

اللهُ سبحانه الغنيُّ المطلق

حرفُ الجرِّ ﴿عَنِ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للمجاوزةِ؛ للدلالة على أنَّ غنى الله ﷻ المُطلق قد تجاوز كلَّ الاحتمالات والظنون الممكنة من العالمين.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دونَ (عنهُ):

المبالغةُ في غِناه تعالى

الظّاهرُ أنْ يُقالَ: (عنهُ)، أيْ: عن المجاهدِ، لكنْ قيلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للمبالغةِ وبيانِ أنَّ غِناهُ سبحانَهُ هو الغِنَى المُطلَقُ، فلا تنفعُهُ طاعةُ أحدٍ أيًّا كانَ، ولا تضرُّهُ معصيتُهُ(3)، وإن اجتمع كلُّ العالمين للجهاد؛ فهو في غنًى عنهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 394.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 394.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 394، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 15.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللِّقاء والاجتماع:

اللِّقاءُ هو الاجتماعُ على وجهِ المقارنةِ

الفرقُ بينَ اللِّقاءِ والاجتماعِ: أنَّ اللِّقاءَ هو الاجتماعُ على وجهِ المقارنةِ والاتِّصالِ، والاجتماعَ قد يكونُ على غيرِ المقارنةِ والاتِّصالِ، كاجتماعِ القومِ في الدّارِ، وإنْ لم يكنْ هناكَ اتِّصالٌ[1].

الإتيان والمجيء:

المجيءُ أقوى في الدَّلالةِ مِنَ الإتيانِ، وبينَهما عُمومٌ وخُصوصٌ مِنْ وجهٍ

فُرِّقَ بينَ المجيءِ والإتيانِ مِنْ وجوهٍ، **أحدُها:** أنَّ الإتيان مجيءٌ بسهولةٍ، ومنهُ قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهِهِ: أتيٌّ، وأتاويٌّ[2]، والمجيءُ أعمُّ[3]، **والثّاني:** أنَّ الإتيان قد يُقال باعتبارِ القصدِ، وإنْ لم يكنْ منهُ الحصولُ، والمجيءُ يُقالُ اعتبارًا بالحصولِ[4]، فتكونُ دلالةُ (جاءَ) على المجيءِ أقوى مِنْ دلالةِ (أتى)[5]، وعلى هذا يكونُ الإتيانُ أعمَّ مِنَ المجيءِ مِنْ هذهِ النّاحيةِ.

والثّالثُ: ذكرَ اللهُ (جاءَ) في موضعِ الأعيانِ في الماضي، و(أتى) في موضعِ المعاني والأزمانِ، ومن ذلكَ: قولُهُ تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 72]؛ لأنَّ الصّواعَ عينٌ، وقولُهُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ [البقرة: 89]؛ لأنَّهُ عينٌ، وقولُهُ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23]؛ لأنَّها عينٌ، وأمّا قولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 34]، فلأنَّ الأجلَ كالمُشاهَدِ، ولهذا يُقال: حَضَرَهُ الموتُ، وقالَ تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الحجر: 63]، أي: بالعذابِ؛ لأنَّهُ مرئيٌّ يشاهدونَهُ، وقالَ: ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الحجر: 64]، حيثُ لم يكنِ الحقُّ مرئيًّا.

---

(1) هنري، فرائد اللغة، ص: 5.
(2) الراغب، المفردات: (أتي).
(3) الراغب، المفردات: (جاء).
(4) الراغب، المفردات: (جاء).
(5) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 50.

نكتةٌ في آيتي يونس وهود

فإنْ قيلَ: قد قالَ تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: 24]، وقالَ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [هود: 58]، فجعلَ الأمرَ آتيًا وجائيًا؛ فالجوابُ: أنَّ هذا يُؤيِّدُ ما ذُكِرَ، فإنَّهم لمّا كانوا ممَّنْ يَرَى الأشياءَ؛ قالَ: ﴿جَآءَ﴾ [هود: 58]، أي: عيانًا، ولمّا كانَ الزَّرعُ لا يُبصِرُ، ولا يَرَى قالَ: ﴿أَتَىٰهَآ﴾ [يونس: 24][1].

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 81.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»